المبحث الخامس

أعمال الملائكة

للملائكة أعمال مكلفون بها، بعضها يتعلق بالإنسان بدءاً بمولده، وحتى آخر مراحل حياته الأخروية، وأخرى تتصل بالكون وما فيه من أحداث ووقائع.

أولاً: أعمال الملائكة المتعلقة ببني آدم:

للملائكة صلة بالإنسان قبل مولده وأثناء حياته الدنيا، وفي حياته البرزخية وفي الحياة الآخرة ولهم في كل من تلك المراحل أعمال يقومون بها، ومن تلك الأعمال ما يلي[1]:

١- نفخ الأرواح في الأجنة:

وكتابة مستقبل تلك الأجنة من حيث أعمالها وآجالها وأرزاقها وسعادتها وشقاوتها، كل ذلك والأجنة في بطون أمهاتها[2].

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ } [الحج: ٥].

هذه هي أطوار الإنسان التي مر بها في حياته منذ خلق أبيه آدم من تراب إلى خلقه هو من ماء مهين ومنذ أن نزل في رحم أمه نطفة إلى أن تطور فصار علقة ثم مضغة وهو في هذا كله ضعيف جدًّا لولا حفظ الله له لهلك مذ كان نطفة ولكن الله عز وجل رحمه وحماه ووكل به ملكاً

(١) العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص ١٧٣.
(٢) المصدر نفسه ص ١٧٣.

يحوطه ويرعاه وهو لا يقدر على شيء من أمر نفسه ولا يدري أحي هو أم ميت أذكر هو أم أنثى أشقي أم سعيد[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال:«إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربعة: برزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذارع أو باع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» [2].

٢- مراقبتهم الإنسان وكتابة أعماله وإحصاؤها عليه:

قال تعالى:{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠].

وقال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠ - ١٢].

وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات[3].

وقال تعالى:{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾} [ق: ١٧، ١٨].

---

(١) في الملائكة المقربين ص ١٨٦.
(٢) البخاري، ك القدر رقم ٦٥٩٤.
(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٣٣٦).

إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ} أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات(١).

وقال تعالى:{وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾} [يونس: ٢١].

وقال تعالى:{هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾} [الجاثية: ٢٩، ٣٠].

وقال تعالى:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾} [الإسراء: ١٣، ١٤]. فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الكرام الكاتبين من الملائكة ملازمون للإنسان ليله ونهاره وأنهم يكتبون أقواله وأعماله القلبية والظاهرة كتابة حقيقية في كتب حقيقية(٢).

والحكمة من كتابة الأعمال مع علم الله بكل ما يقع؛ إظهار عدل الله عز وجل وإقامة للحجة القاطعة لكل شبه قد يعتذر بها العاصي يوم القيامة وقد جاء في الحديث الصحيح عن سعد بن عبادة - رضي الله عنه - قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:«**أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من**

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٢٢٢).
(٢) في الملائكة المقربين ص ١٦٧.

الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة» [1]، ولذلك يؤمر الإنسان بقراءة كتابه ومحاسبة نفسه يوم القيامة كما قال:{ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٤].

قال الحسن البصري: يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابًا تلقاه منشوراً اقرأ كتابك فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك[2]، وفي حديث صاحب البطاقة المشهور قال رسول الله ﷺ : **«إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً لكل سجل مد البصر ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»**[3].

أ – ماذا تكتب الملائكة:

الذي دلت عليه النصوص أن الملائكة تكتب كل ما صدر عن الإنسان من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة كتابة تفصيلية لا إجمالية:

(١) مسلم رقم ١٤٩٩.
(٢) تفسير ابن جرير (٢٦/ ١٥٩) في الملائكة المقربين ص١٦٨.
(٣) سنن الترمذي رقم ٢٦٤١ حديث حسن غريب.

- قال تعالى:{ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾} [القمر: ٥٢، ٥٣].

- وقال تعالى:{ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾} [الكهف: ٤٩].

- وقال تعالى:{ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾} [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

- وقال تعالى:{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾} [الزلزلة: ٧، ٨] وقال رسول الله ﷺ :«**من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج عامداً إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسرع فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً. قالوا: لم يا أبا هريرة؟ قال: من أجل كثرة الخطا**» [(١)].

وعن جابر بن عبد الله قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو مسلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم:«**بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال:«**يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم**». فقالوا: ما

(١) مسلم رقم ٦٥٦ (١/ ٤٦٢).

يسرنا أنا كنا تحولنا[1].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة وهي تفيد أن الأعمال صغيرها وكبيرها تكتب في صحائف يلقاها ابن آدم يوم القيامة[2].

وعن بلال بن الحارث المزني - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه**» [3].

وثبت أن أعمال القلوب تكتب كما قال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾} [الانفطار: ١٠ - ١٢].

ولفظ{يَعْلَمُونَ} يشعر أن الله عز وجل قد أعطى الملائكة قدرة على العلم بما في قلب العبد. ورُوي عن الحسن رحمه الله أنه قال:{يَعْلَمُونَ} لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم[4].

وقال ابن أبي العز الحنفي: قد ثبت بالنصوص أن الملائكة تكتب القول والفعل وكذلك النية لأنها فعل القلب فدخلت في عموم{يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [5].

وقد ورد في السنة ما يدل على علم الملائكة بفعل القلب بها وبهمه وإرادته، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل: «**إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فأكتبوها**

(١) مسلم (١/ ٤٦٢) رقم ٦٥٦.
(٢) في الملائكة المقربين ص١٧٤.
(٣) صحيح الجامع (٢/ ٦٣) رقم ١٦١٥.
(٤) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٤٨).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٢.

سيئة وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً»[1].

والخلاصة أن الكرام الكاتبين قد هيأهم الله وأعدهم لكتابة كل ما صدر عن الإنسان من قول وفعل ظاهر وباطن، ودلت النصوص كذلك على أن الملائكة تكتب للإنسان بعد وفاته الأعمال التي تسبب بها في حياته من خير وشر[2].

- قال تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ } [يس: ١٢].

وهذا يدل على أن الملائكة تكتب أعمال الإنسان الذي عملها في حياته والأعمال التي تسبب بها في حياته بعد موته سواء كانت من عمله أو من عمل غيره ما دام تسبب بها أو دعا إليها ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى:{مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة: ٣٢].

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«**لا تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل أولاً**» [3].

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم

(١) فتح الباري على صحيح البخاري (١٣/ ٢٦٤).
(٢) في الملائكة المقربين ص ١٧٥.
(٣) البخاري رقم ٦٨٩٠، مسلم رقم ١٦٧٧.

حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله ﷺ :«**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**» [(١)].

وقال رسول الله ﷺ :«**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده**»[(٢)].

ب – الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ونحوها:

قال رسول الله ﷺ :«**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**» [(٣)].

وقد أجاب عن ذلك الخطابي بقوله: يريد الملائكة الذين ينزلون بالبركة والرحمة دون الملائكة الذين هم الحفظة فإنهم لا يفارقونه[(٤)].

والمقصود: أن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون بيتاً فيه شيء من ذلك دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبريك عليه ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ومثل هذا غير مستنكر بيننا فإن فساد صاحب المنزل يمنع من دخول صلحاء الناس منزله دخول إكرام ولا يمنعهم أن يدخلوه دخول إنكار[(٥)].

---

(١) مسلم (٤/ ٢٠٥٩) رقم ١٠١٧.
(٢) مسلم (٣/ ١٢٥٥) رقم ١٦٣١.
(٣) البخاري (٣/ ١١٧٩) رقم ٢٠٥٣.
(٤) معالم السنن للخطابي (١/ ٧٥).
(٥) فتح الباري (١٠/ ٣٨٠ - ٣٨٢)، في الملائكة المقربين ص ١٧٨.

والخلاصة: أن الملائكة الكتبة عليهم السلام ملازمون للإنسان يكتبون ما صدر عنه وقد أعدهم الله لذلك وأعطاهم من الوسائل والصفات ما يستطيعون به تنفيذ أمر الله لهم بدون أدنى عناء ومشقة[1].

٣- حفظ بني آدم:

قال تعالى:{لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾} [الرعد: ١١].

أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدّامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح:«**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون**» [2].

وروى عن بعض أهل العلم:{يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه[3].

---

(١) في الملائكة المقربين ص ١٧٩.
(٢) صحيح تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٣)، البخاري رقم ٥٥٥.
(٣) صحيح تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٣).

وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾} [الأنعام: ٦١].

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء{وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً} أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان(١).

وقال تعالى:{إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾} [الطارق: ٤] أي: حافظ يحرسها من الآفات(٢).

وقد بين النبي ﷺ بعض الأذكار التي تحفظ الملائكة من قالها في يومه ذاك أو في موضعه الذي قالها فيه فمن ذلك:

أ – آية الكرسي: فقد صح عن النبي ﷺ أن من قرأها وكلّ الله به ملك يحوطه كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - فقص الحديث - وفيه فقال:«**إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير**». فقال النبي ﷺ :«**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**» قال: لا، قال:«**ذاك شيطان**» (٣).

ب – قراءة أواخر سورة البقرة: عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ :«**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة**

(١) المصدر نفسه (٢/ ٢٧).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٦٢٥).
(٣) البخاري رقم ٢١٨٧.

كفتاه» [١].

قال النووي: اختلف العلماء في معنى{كفتاه} فقيل: من الآفات في ليلته. وقيل: كفتاه من قيام ليلته، فقلت - أي النووي: ويجوز أن يراد الأمران[٢].

ج – قراءة قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات: عن عبد الله بن خبيب - رضي الله عنه - قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال:«قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال:«قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال:«قل»، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال:«قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء» [٣].

د – قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له: قال رسول الله ﷺ من قال:«لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر منه» [٤].

٤– ملازمته ودعوته للخير:

وممن هو ملازم للإنسان من الملائكة القرين، وهذا من أعظم نعم الله على الإنسان ولله الحمد والمنة فقد يسر الله لكل إنسان ملك يدعوه إلى الخير ويحثه عليه ويخوفه من الشر ويحذره.

---

(١) فتح الباري على صحيح البخاري (٩/ ٥٥).
(٢) الفتح (٩/ ٥٦).
(٣) صحيح الجامع (٤/ ١٤١) رقم ٤٢٨٢.
(٤) البخاري (٥/ ٢٣٥١) رقم ٦٠٤٠.

قال تعالى:{ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾} [ق: ٢٣].

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**»، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال:«**وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»(١).

وقد وضح النبي ﷺ عمل هذين القرينين للإنسان وطريقة السلامة من الشيطان في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ :«**إذا آوى الرجل إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، فإن ذكر الله ثم نام بات الملك يكلؤه، فإذا استيقظ قال الملك: افتح بخير، وقال الشيطان: افتح بشر، فإن قال: الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا إلى آخر الآية، الحمد الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة**» (٢).

وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً - ما يوضح هذا الأمر وفيه: إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان، ثم قرأ:{ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ} [البقرة: ٢٦٨](٣).

يقول ابن القيم: وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت

(١) مسلم (٤/ ٢١٦٨) رقم ٢٨١٤.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٣/ ٣٢٦) رجاله رجال الصحيح عدا إبراهيم بن الحجاج السامي وهو ثقة.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي (٨/ ٤١٧) رقم ٤٩٩٩، في الملائكة المقربين ص ١٨٤، تفسير الطبري (٥/ ٥٧٢ - ٥٧٥) تحقيق أحمد شاكر.

أعجب العجائب، فهذا يلم به مرة وهذا يلم به مرة فإذا ألم به الملك حدث من لمته الانفساح والانشراح والنور، والرحمة، والإخلاص، والإنابة، ومحبة الله، وإيثاره على ما سواه، وقصر الأمل، والتجافي عن دار البلاء، والإمتحان والغرور، فلو دامت له تلك الحالة لكان في أهنأ عيش وألذه وأطيبه، ولكن تأتيه لمة الشيطان فتحدث له من الضيق، والظلمة، والهم، والغم، والخوف، والسخط المقدور، والشك في الحق، والحرص على الدنيا وعاجلها، والغفلة عن الله...

ثم للناس مراتب في هذه المحنة لا يحصيها إلا الله، فمنهم من تكن لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى، فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر، وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب، فيبادر إلى طرد تلك اللمة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها، فهو دائماً في حرب بين اللمتين، يدال له مرة، ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للتقوى[1].

وليس شيء أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته ومنامه، وحياته وعند موته، وفي قبره، ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سرّه، ويحارب عنه عدوه، ويدافع عنه، ويعينه عليه ويعده بالخير، ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق وإذ اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان من العبد، تكلم على لسانه قول الزور والفحش حتى يرى الرجل يتكلم على لسان الملك، والرجل يتكلم على لسان الشيطان[2].

(١) الإيمان بالملائكة الأطهار للأشقر من ابن القيم ص ٥٩.
(٢) المصدر نفسه صـ٥٦.

وذكر ابن القيم أن العبد يصحب الملك ويدنيه منه إن هو اشتغل بالإيمان والعبادة للرحمن، ويطرده منه ويقسيه إن اشتغل بالذنوب والمعاصي وفي ذلك يقول: من عقوبة المعاصي أنها تباعد عن العبد وليه، وأنصح الخلق له، وأنفعهم له، ومن سعادته في قربه منه، وهو الملك الموكل به، وتدني منه عدوه وأخشى الخلق، وأعظمهم ضرراً له، وهو الشيطان فإن العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية، حتى إنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة.... فإذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة، فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو أكبر من ذلك وأفحش منه[1]..

٥ – السفارة بين الله وبين عباده من بني آدم:

من أهم الوظائف المنوطة بالملائكة هو قيامهم بتبليغ الوحي إلى أنبياء الله، ورسله، فالملائكة واسطة بين الله تعالى وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع، ويكون الملك واسطة بين الرسول وبين ربه، والرسول واسطة بين الملك وقومه، وما يؤديه الملك إلى الرسول ليؤديه الرسول إلى قومه ضربان: قرآن ووحي[2]، فقد اصطفى الله سبحانه وتعالى من بني آدام أفراداً شرفهم بنبوته ورسالته وأرسل إليهم ملائكة منه يبلغونهم أوامر الله سبحانه وتعالى دينه، وهؤلاء المصطفون هم الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - قال تعالى:{إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ

(١) المصدر نفسه صـ٥٨.

(٢) معارج القبول للحكمي (٢ / ٧٨)، الرسل والرسالات للأشقر صـ٦٣.

مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾} [النساء: ١٦٣ - ١٦٥]. وقد ذكر الله عز وجل المقامات التي يوحي بها إلى عباده فقال سبحانه:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ} [الشورى: ٥١ - ٥٣].

قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى: تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يتمارى أنه من الله عز وجل أو من وراء حجاب كما كلم موسى - عليه الصلاة والسلام -: أو يرسل رسولاً كما ينزل جبريل، عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والذي يهمنا في هذا المبحث المقام الثالث، وهو الوحي بواسطة الملك(١).

فقد أثبتت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن جبريل عليه السلام هو الذي ينزل بالوحي من الله تعالى للأنبياء والرسل، فكان الوساطة بين الله تعالى ورسله(٢).

- **الأدلة من الكتاب العزيز:**

أ - قال تعالى:{نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾} [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

(١) في الملائكة المقربين صـ١٦٢ تفسير ابن كثير (٤ / ١٢٢).
(٢) الواسطة بين الله وخلقه صـ١١٢.

ب – قال تعالى:{قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [البقرة: ٩٧].

ج – وقال تعالى:{ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾} [النحل: ١٠٢].

د – وقال تعالى:{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾} [النجم: ٣ - ١٠]، وأخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه، فكان ذلك يعرف منه فأنزل الله تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾} [القيامة: ١٦ - ١٨] فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله(١).

ك – وقال تعالى:{إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ} [التكوير: ١٩ - ٢٣](٢).

– وقد كان نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ على أشكال:

أ – فمن تلك الأشكال أنه كان يأتيه على صورة غير مرئية ويقع كلامه على قلب النبي، فيعي ما يقول ولا يرى الصحابة جبريل عليه السلام والحالة هذه، ولكن تظهر لهم علامات تدل على أن النبي ﷺ يوحى إليه ومن هذه العلامات:

(١) البخاري، ك بدء الوحي (١ / ٢٩).
(٢) الواسطة بين الله وخلقه صـ١٢٤.

– خروج العرق من جسمه الشريف ﷺ في اليوم البارد، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان لَينزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً[١].

– تغير وجهه الشريف ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب[٢]لذلك وتربد[٣] وجهه[٤].

– ثقل جسمه الشريف ﷺ فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنه قالت: إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذا أنزلت عليه المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة[٥].

وروى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترضى[٦]، فخذي[٧].

ب – وقد يراه على صورته التي خلق عليها:

وقد ثبت أنه ﷺ رأى جبريل على صورته التي خلق عليها مرتين، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٨٦).
(٢) كرب: أصابه الكرب من شدة الوحي.
(٣) تربد وجهه: تغير إلى الغبرة.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٨٨).
(٥) فتح الباري (١ / ٢١).
(٦) الرضى: الكسر. مختار الصحاح ص٢٤٥.
(٧) البخاري، ك الصلاة (١ / ٤٧٨) رقم ١٢.

ومرة في جياد[1] له ستمائة جناح قد سد الأفق[2].

ج – وقد يتمثل جبريل للنبي ﷺ في صورة رجل فيكلمه بالوحي ومن ذلك:

– تمثل جبريل عليه السلام بصورة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي - رضي الله عنه - وكان معروفاً بجماله، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية[3].

– وقد يأتيه على رجل غير معروف ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وساق عمر الحديث إلى أن قال في آخره: ثم انطلق فلبثت مليًّا، ثم قال لي:«**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال:«**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» [4].

وقد جمع النبي ﷺ بين الشكلين " أ، ج " [5].

في قوله:«**أحياناً يأتيني مثل صلصلة** [6] **الجرس وهو أشده علي فيفصم**[7]

(١) جياد: يقال له أجياد واد بمكة.
(٢) فتح الباري (١ / ٣).
(٣) مسند أحمد (٨/ ١٣٢) صححه محقق المسند.
(٤) مسلم، ك: الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان.
(٥) وهما مجيء جبريل في صورة غير مرئية ومعينة في صورة رجل.
(٦) الصلصلة: الصوت.
(٧) فيفصم: الفصم: القطع: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٥٢).

عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»[1].

- وأخبرنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أرسل بعض الملائكة المقربين، واسطة منه تعالى إلى أشخاص من البشر ليسوا بأنبياء، تشريفاً لهم وتكريماً، وأن أولئك الملائكة عليهم السلام جاءت وساطتهم بالبشارة والنذارة والابتلاء لهؤلاء الأشخاص ونريد أن نبين تلك الوساطات في النقاط الآتية:

أ – سارة زوجة إبراهيم عليه السلام:

لما ذكر الله تعالى قصة ملائكته الذين أرسلهم إلى إبراهيم عليه السلام ذكر في أثنائها أنهم خاطبوا زوجه سارة، وبشروها بولدها إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وذلك في آيتين من كتاب الله العزيز.

- قال تعالى:{فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾} [هود: ٧٠ - ٧٣].

- وقال تعالى:{فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾} [الذاريات: ٢٨ - ٣٠].

فتبين من هاتين الآيتين أن الله تعالى أوحى إلى سارة بواسطة هؤلاء

(١) فتح الباري (١/ ١٨) رقم ٢.

الملائكة الذين بشروها بأنها ستلد إسحاق رغم كبر سنها، وشيخوخة بعلها، وأن إسحاق سيولد له ولد يسمى يعقوب[1].

ب – مريم ابنة عمران عليها السلام:

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يولد عيسى ابن مريم عليه السلام من أم دون أب، ليكون ذلك دليلاً مشاهداً على عظم قدرة الله عز وجل، ولما كانت مريم عليها السلام هي الأم التي قدر الله ولادتها لهذا النبي الوجيه أرسل إليها الملائكة مراراً، وقد بينت آيات القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع، فمن تلك الآيات:

– قال تعالى:{وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾} [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

– وقال تعالى:{ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران: ٤٥ - ٤٧].

– وقال تعالى:{فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾} [مريم: ١٧ - ٢١].

(١) الواسطة بين الله وخلقه ص ١٢٧.

فثبت من هذه الآيات أن الملائكة أوحت إلى مريم ثلاث مرات، واسطة بينها وبين الله تعالى، وفي بعض هذه المرات كانت الواسطة جمعاً من الملائكة بصيغة العموم، وفي المرة الثالثة في سورة مريم كان الواسطة هو جبريل عليه السلام، حيث تمثل لمريم على صورة رجل تام الخلقة وأخبرها أنه رسول من عند الله تعالى، ليهب لها غلاماً زكيًّا [1].

ولا يفهم من وحي الله إلى كل من سارة ومريم، بواسطة الملائكة أنه توجد نبية من النساء، لأن النبوة لا تثبت لأحد من البشر إلا بدليل، ولا يوجد دليل على نبوة واحدة من النساء، بل القرآن قصر الرسالة على الرجال دون النساء.

قال تعالى:{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ} [الأنبياء: ٧] وهذا قول جمهور أهل العلم وهو الراجح[2].

ج – الملك الذي أرسله الله إلى الرجل الذي زار أخاه في الله:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته[3] ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تُرِبُّها[4]، قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته»** [5].

فثبت بهذا الحديث أن الله تعالى قد أرسل ملكاً من ملائكته واسطة بينه وبين

(١) الواسطة بين الله وخلقه ص ١٢٨.
(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٥/ ١٩٨).
(٣) المدرجة: الطريق.
(٤) تربها: تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.
(٥) مسلم شرح النووي (١٦/ ١٢٤).

هذا الرجل الصالح ليعلمه فضل الحب في الله تعالى، ومنزلة المتحابين فيه.

س – الملك الذي بعثه الله إلى الأبرص والأقرع والأعمى في بني إسرائيل لابتلائهم:

وقد مرّ الحديث معنا مفصلاً، فقد دل هذا الحديث على أن الله تعالى قد بعث ملكاً من ملائكته واسطة بينه وبين هؤلاء الثلاثة نفر من بني إسرائيل لابتلائهم، وامتحانهم، وأنه أتاهم على صورة رجل من البشر(١).

٦– تثبيت المؤمنين وقتالهم معهم:

كما حصل في عدد من الغزوات، فقد شاركوا في قتال المشركين في بدر، والأحزاب وقريظة وغيرها، وقد سجل القرآن الكريم بعض تلك المشاركات، ليبين لهم عظيم نعمته على عباده المؤمنين من نصرتهم وتأييده سبحانه وتعالى لهم(٢):

أ – في غزوة بدر:

ثبت في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ومرويات عدد من الصحابة البدريين: أن الله تعالى ألقى في قلوب الذين كفروا الرُّعب، قال تعالى:{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾} [الأنفال: ١٢].

- وقال تعالى:{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

(١) الواسطة بين الله وخلقه ص ١٣٠.
(٢) العقيدة الإسلامية د. أحمد جلي ص ١٧٤.

مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾} [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦].

وقد أشارت الأحاديث الصحيحة إلى مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين، وقتلهم(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم(٢)، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو خُطِم أنفه، وشق وجهه كضربة السَّوط، فاخضرّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدَّث بذلك رسول الله، فقال: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**» (٣)، ومن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - أيضاً - قال: إن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب**» (٤)، ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجْلَحُ(٥)، من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق(٦)، وما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: «**اسكت فقد أيدك الله بملك كريم**» (٧) ومن حديث أبي داود

(١) السيرة النبوية للصلابي (١/ ٧١١).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٧١٢) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.
(٣) السيرة النبوية للصلابي (١/ ٧١٢).
(٤) البخاري رقم ٣٩٩٥.
(٥) أجلح: الذي انحسر شعره من جانبيه.
(٦) الأبلق: الذي ارتفع التحجيل إلى فخذيه..
(٧) مسند أحمد (١ / ١١٧).

المازني قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قتله غيري[١].

وقد بوب البخاري باب شهود الملائكة بدراً، وساق بسنده حديث رفاعة بن رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة**» [٢].

إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت، لا شك فيه، وإن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل عند نزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لنصر المسلمين، من تبشيرهم بالنصر، من تثبيتهم بما ألقوه في قلوبهم، من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهروه لهم من أنهم معانون من الله تعالى، وأيضاً بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوى قلوبهم وثبتهم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات وصرحت به الأحاديث النبوية[٣].

وقد يسأل سائل: ما الحكمة في إمداد المسلمين بالملائكة، مع أن واحداً من الملائكة جبريل عليه السلام قادر بتوفيق الله على إبادة الكفار؟

وقد أجاب الدكتور عبد الكريم زيدان على ذلك، فقال: لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقاً لسنن الله في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبين

(١) مسند أحمد (٥ / ٤٥٠) سيرة ابن هشام (٢ / ٢٨٦).
(٢) البخاري فتح الباري (٧ / ٣١١، ٣١٢).
(٣) المستفاد من قصص القرآن د. عبد الكريم زيدان (٢ / ١٣١، ١٣٢).

الحق والباطل، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا على عون وتأييد من الله تعالى بأشكال وأنواع متعددة في التأييد والعون، ولكن تبقى المدافعة، والتدافع يجريان وفقاً لسنن الله فيهما، وفي نتيجة التدافع فالجهة الأقوى بكل معاني القوة اللازمة للغلبة هي التي تغلب، فالإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصبة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون في القتال ومباشرة لأعمال القتال وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه وثقتهم فيه، وهذه معانٍ جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصر مع الأسباب الأخرى المادية مثل العدة والعدد، والاستعداد للحرب، وتعلم فنونها.... إلخ.

ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل، وقتال المبطلين، ويهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبأيديهم - إن شاء الله تعالى - ينال المبطلون ما يستحقون من العقاب[1].

قال تعالى:{قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥} [التوبة: ١٤، ١٥].

إن نزول الملائكة - عليهم السلام - من السماوات العلا إلى الأرض، لنصر المؤمنين حدث عظيم، إنه قوة عظمى وثبات راسخ للمؤمنين، حينما يؤمنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب

(١) المستفاد من قصص القرآن (٢ / ١٣١، ١٣٢).

النصر واجتنبوا موانعه، فإنهم أهلٌ لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقابلة الأعداء، وإن كان ذلك على سبيل المغامرة، لبعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً، القوي إعداداً، وجيش المؤمنين القليل عدداً الضعيف إعداداً وهو في الوقت نفسه عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار، وزعزعة يقينهم وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرار نزول الملائكة، الذين شاهدهم بعض الكفار عياناً، إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم، فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قوى غير منظورة، لا يعلمون عددها، ولا يقدرون مدى قوتها، وقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حروبهم التي خاضها الصحابة رضي الله عنهم في العهد النبوي، وفي عهد الخلافة الراشدة، كما رافق المؤمنين بعد ذلك، فكان عاملاً قويًّا في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم[1].

ب – الملائكة في أحد:

قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما - قبل ولا بعد - يعني - جبريل وميكائيل[2].

وهذا خاص بالدفاع عن النبي ﷺ لأن الله تكفل بعصمته من الناس، ولم يصح: أن الملائكة قاتلت في أحد سوى هذا القتال - وإن وعدهم الله أن يمدهم - لأنه جعل وعده معلقاً على ثلاثة أمور: الصبر، والتقوى،

(١) التاريخ الإسلامي (٤ / ١٤٥) للحميدي.
(٢) البخاري رقم ٤٠٥٤.

وإتيان الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإمداد[1].

قال تعالى:{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾} [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥][2].

ج- في الخندق:

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال:«**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزهم وزلزلهم**» [3]، فاستجاب الله - سبحانه - دعاء نبيه ﷺ، فأقبلت بشائر الفرج، فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم، وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة وألقى الرعب في قلوبهم وأنزل جنوداً من عنده سبحانه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾} [الأحزاب: ٩].

فكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريباً منها، ولم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها، وبعث الله عليهم الملائكة فخلقت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط[4]، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان، هلم إلي،

(١) السيرة النبوية الصحيحة أكرم العمري (٢ / ٣٩١).
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٤٩).
(٣) البخاري رقم ٢٩٣٣.
(٤) الفساطيط: نوع من الأبنية في السفر دون السرادق.

فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء لما بعث الله عليهم الرعب[1].

وبعد انتصار المسلمين وعودة النبي ﷺ من الخندق ووضعه السلاح أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقتال بني قريظة، فأمر الحبيب ﷺ أصحابه بالتوجه إليهم، وقد أعلمهم بأن الله تعالى قد أرسل جبريل ليزلزل حصونهم، ويقذف في قلوبهم الرعب، وأوصاهم بأن: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»[2].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام وقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: «**فإلى أين؟**» قال: هاهنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ[3].

وقد سجل القرآن الكريم غزوتي الأحزاب، وبني قريظة، والقرآن كعهدنا به يسجل الخالدات التي تسع الزمان والمكان، فالمسلمون معرضون دائماً لأن يغزو في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم، ومعرضون بأن يتكالب عليهم الأعداء جميعاً، فإذا كان القرآن قد سجل حادثتي الأحزاب، وبني قريظة، فذلك من سمة التكرار على مدى العصور[4]، لكي يستفيد المسلمون من الدروس والعبر من الحوادث السابقة التي ذكرت في القرآن الكريم على وجه الخصوص، والذي يتدبر حديث القرآن عن غزوة الأحزاب يراه قد اهتم ببيان أمور من أهمها ما يلي:

---

(١) تفسير القرطبي (١٤ / ١٤٤).
(٢) البخاري رقم ٤١١٩، مسلم ١٧٧٠.
(٣) البخاري مع الفتح (٧ / ٤٠٧).
(٤) الأساس في السنة، سعيد حوى (٢ / ٦٦٢).

– تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، كما قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾} [الأحزاب: ٩].

– التصوير البديع لما أصاب المسلمين من هم بسب إحاطة الأحزاب بالمدينة، قال تعالى:{ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾} [الأحزاب: ١٠].

– الكشف عن نوايا المنافقين السيئة، وأخلاقهم الذميمة وجبنهم الخالع، ومعاذيرهم الباطلة، ونقضهم للعهود، قال تعالى:{ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا } [الأحزاب: ١١، ١٢].

– حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وجهاده، وكل أحواله، استجابة لقوله تعالى:{ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾} [الأحزاب: ٢١].

– مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة، وهم يواجهون جيوش الأحزاب بإيمان أدق ووفاء بعهد الله تعالى، قال تعالى:{مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾} [الأحزاب: ٢٣].

– بيان سنة من سنن الله التي لا تتخلف، وهي جعل العاقبة للمؤمنين لأعدائهم، قال تعالى:{وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾} [الأحزاب: ٢٥].

– امتنانه سبحانه على عباده المؤمنين، حيث نصرهم على بني قريظة وهم في حصونهم المنيعة بدون قتال يذكر، حيث ألقى - سبحانه -

الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكم الله ورسوله ﷺ[1]. قال تعالى:{وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾} [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

س – الملائكة في غزوة حنين:

قال تعالى:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾} [التوبة: ٢٥ - ٢٧].

إن غزوة حنين سُجِّلت في القرآن الكريم، لكي تبقى درساً للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عُرضت في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي:

– بين القرآن الكريم أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم، قال تعالى:{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا} [التوبة: ٢٥].

– بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا، وهربوا ما عدا النبي ﷺ ونفر يسير من أصحابه، قال تعالى:{وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة: ٢٥].

(١) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ د. محمد بدر آل عابد (٢ / ٤٩٠، ٤٩١).

- بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله ﷺ في هذه المعركة، وأكرمه بإنزال السَّكينة عليه وعلى المؤمنين، فقال تعالى:{ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ } [التوبة: ٢٦].

- بين القرآن الكريم أن الله أمدّ نبيّه محمداً ﷺ بالملائكة في حنين، قال تعالى:{وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾} [التوبة: ٢٦] وأكدّ - سبحانه - على أنه يقبل من عباده، ويوفق من شاء إليها، قال تعالى:{ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾} [التوبة: ٢٧] (١).

٧- قبض الأرواح عند الموت:

ثبت في الكتاب والسنة أن الله وكّل بالروح ملائكة يقبضونها عند الموت في آيات كثيرة.

أ - كيفية نزع الروح:

قال تعالى:{فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾} [الواقعة: ٨٣ - ٨٥].

{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ} أي: الروح، والحلقوم: هو الحلق، وذلك حين الاحتضار{وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ} أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت،{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ} أي: بملائكتنا،{وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ} أي: ولكن لا ترونهم(٢).

- وقال تعالى:{وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ

(١) حديث القرآن الكريم (٢/ ٦٠٢، ٦٠٣).
(٢) اليوم الآخر، د. محسن المطيري ص ٥٥.

أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾} [الأنعام: ٦١، ٦٢].

وقال تعالى:{كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾} [القيامة: ٢٦ - ٣٠].

{إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ} أي: الروح، والتراقي جمع تُرقُوة وهي العظام المكتنفة لنُقرة النّحر، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة، ويكنّى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت، مثله قوله:{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ} وقيل:{كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ} معناه أي: حقًّا أن المساق إلى الله:{كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ} أي: إذا ارتفعت الروح إلى التراقي، والمقصود تذكيرهم شِدة الحال عند نزول الموت(١).

وقال تعالى:{قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾} [السجدة: ١١]، وقد توهم بعض الناس أن الملك الموكل بالموت وقبض الأرواح هو عزرائيل، والحقيقة أن لملك الموت أعوان على هذه المهمة فهناك النازعات والناشطات، الوارد ذكرها في قوله تعالى:{وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾} [النازعات: ١، ٢]. وقد ورد عن جمع من الصحابة والتابعين أن{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط(٢)، فيقبضون أرواح المؤمنين بيسر وسهولة ويبشرونهم بالجنة، بينما يقومون بضرب وجوه الكفرة وأدبارهم، كما يوبخون الظالمين لأنفسهم الممتنعين عن الهجرة

(١) الإيمان باليوم الآخر علي الصلابي ص ٢٥.
(٢) العقيدة الإسلامية أحمد جلي ص ١٧٥.

إلى الله ورسوله[1].

إن الإنسان إذا اقترب أجله، فإن الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر، حتى تخرج من جسده، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين - حتى للمؤمن - بل له سكرات وغمرات ومشقات، ثم تنتزع الملائكة الروح، وهذا النزع يختلف شدة ويُسراً بحسب إيمان الرجل[2].

ب – خروج روح المؤمن واحتضاره:

قال تعالى:{أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وفي قوله تعالى:{لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ} [يونس: ٦٤] قولين:

الأول: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له[3].

والثاني: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة ويدلّ على هذا حديث البراء - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ :**«إن المؤمن إذا حضره الموت، جاءه الملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان وربٍّ غير غضبان، فتخرج تسيلُ كما تسيل القطرة من السقاء»** [4].

(١) المصدر نفسه ص ١٧٥.
(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة للمطيري ص ٥٨.
(٣) سنن ابن ماجه رقم ٣٨٩٨ وسنده صحيح.
(٤) مسند أحمد رقم ١٨٥٣٤ صحيح الإسناد.

وكلا المعنيين صحيح، ولا تعارض بين هذين التفسيرين[1].

- وقال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾} [فصلت: ٣٠ - ٣١]، وفي قوله:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ} أي: أخلصوا لله، وقوله:{ثُمَّ اسْتَقَامُوا} أي: على طريقة رسول الله باتباعه[2].

وفي قوله:{تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} يبشرون عند الموت وفي القبر، ويوم خروجهم من قبورهم[3].

- وقال تعالى:{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾} [الأنبياء: ١٠٣]، وقوله:{أَلَّا تَخَافُوا} أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة{وَلَا تَحْزَنُوا} على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه{الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير[4].

- وقال تعالى:{كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣١، ٣٢].

يخبر الله تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون، أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلّم عليهم وتبشرهم

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم للمطيري ص ٥٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٩٨).
(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٦١.
(٤) تفسير البغوي (٧/ ١٧٣) بتصرف.

بالجنة[1]، وأن وفاتهم تكون طيبة سهلة ولا صعوبة فيها ولا ألم، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخلّط[2].

- وقال تعالى:{يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾} [الفجر: ٢٧، ٢٨].

وهذا يقال له عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذلك هاهنا[3].

- وقال تعالى:{فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾} [الواقعة: ٨٨ - ٩١].

هذه الأحوال الثلاثة: هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى:{فَأَمَّا إِن كَانَ} أي: المحتضر{مِنَ الْمُقَرَّبِينَ} وهم من فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرّمات والمكروهات وبعض المباحات، قوله:{فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت{فَرَوْحٌ} راحة، أو الراحة من الدنيا، والروح: الفرح{فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} جنة ورخاء{فَرَوْحٌ} فرحمة{وَرَيْحَانٌ} رزق. وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرّباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن[4].

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٦٢.
(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٦٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٠).
(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٦٤.

{وَجَنَّةُ نَعِيمٍ} أي: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار[1].

وقوله تعالى:{وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين{فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} أي: تبشرهم الملائكة بذلك، وتقول لأحدهم: سلام لك، أي لا بأس عليك، أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين[2].

ويكون السلام على المؤمنين عند ثلاثة مواضع: عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الدنيا، وعند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير، وعند بعثه في القيامة تسلّمُ عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة، ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام[3].

ج – خروج روح الكافر واحتضاره:

قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

قوله:{فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} أي: كرباته وسكراته، وقوله:{وَلَوْ تَرَى} جوابه محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة وفي قبض الأرواح[4].

وقوله:{بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ} أي: بالضرب لهم، حتى تخرج أنفسهم من

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٠).
(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٢٢).
(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١٥١).
(٤) التسهيل لابن الجوزي (١/ ٢٧٩).

أجسادهم، ولهذا يقولون لهم:{أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ} وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرّته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب القهار العظيم، فتفرق روحه في جسده وتتعصى، وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم:{أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ} أي: كنتم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله[1]، ثم يبشرون بالعذاب{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}.

- وقال تعالى:{ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾} [الفرقان: ٢٢]، أي حرام ومحرّم عليكم دخول الجنة[2].

وفي حديث البراء الطويل، قال رسول الله ﷺ :«**وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع عن الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة، سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيءُ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول**» [3].

- وقال تعالى:{ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَبَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾} [النحل: ٢٨، ٢٩].

(١) التسهيل لابن الجوزي (١ / ٢٧٩).
(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٦٠١.
(٣) مسند أحمد رقم ١٨٠١٣ صحيح الإسناد.

- وقال تعالى:{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾} [محمد: ٢٧]، هذه الآية فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزع[١].

د – ملائكة الرحمة وملائكة العذاب:

وقد جاء أن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون فيمن لم تتضح حاله من بني آدم كل يقول: أنا أقبض روحه حتى يفصل الله بينهما، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن نبي الله ﷺ قال:«**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه على الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة**»، وفي رواية:«**فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي**» [٢].

والقصد أن ملائكة الموت نوعان: ملائكة رحمة وملائكة عذاب

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٧٠.
(٢) مسلم (٤/ ٤٩) رقم ٢٧٦٦.

ينزلون لقبض أرواح بني آدم كل حسب عمله فأهل الإيمان تقبض أرواحهم ملائكة الرحمة وأهل الكفر تقبض أرواحهم ملائكة العذاب[1].

٨- سؤالهم الميت في قبره، ثم تنعيمه أو تعذيبه، بعد إعادة الروح إلى الجسد:

البرزخ: اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه، وهو بين الدنيا والآخرة[2]، قال تعالى: {حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

ومن الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر:

- قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

ففي قوله:{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} فالآية تبين حال المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته، وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر، ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم:{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [3].

- وقال تعالى:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ

(١) في الملائكة المقربين ص ١٩٢.
(٢) تفسير القرطبي (١٢ / ١٥٠).
(٣) الروح لابن القيم ص١٣٢.

مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾} [التوبة: ١٠١].

قوله تعالى:{سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ} المرة الأولى في الدنيا من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله:{ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} (١).

- وقال تعالى:{ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر: ٤٥، ٤٦].

وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله:{أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (٢).

ولقد جاءت الأحاديث بفتنة القبر وسؤال الملكين، ومما يُستدل به من القرآن على سؤال الملكين قول الله تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [إبراهيم: ٢٧](٣).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه يسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى**

(١) تفسير الطبري (١٤ / ٤٤١).
(٢) اليوم الآخر للصلابي ص٤٨.
(٣) البخاري رقم ٤٦٩٩. مسلم رقم ٢٨٧١.

مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» [(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«إذا قبر الميت، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، ويقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبده ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه» [(٢)].

٩ – نفخهم في الصور:

عرَّف النبي ﷺ الصور - كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: ما الصور؟ قال:«الصور قرن ينفخ فيه»[(٣)]، قال تعالى:{وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾} [النمل: ٨٧]، وقد سماه الله تعالى أيضاً الناقور، كما قال تعالى:{فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾} [المدثر: ٨]، الناقور هو

(١) البخاري رقم ١٣٧٤. مسلم رقم ٢٨٧٠.
(٢) سنن الترمذي رقم ١٠٧١، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٣٩١.
(٣) أبو داود رقم ٤٧٤٢.

الصور[1]، فالصور والناقور اسمان لمسمى واحد.

وقد سمى الله تعالى الصوت الذي يخرجه إسرافيل من الصور بأسماء هي:

- **النفخة:** {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾} [الحاقة: ١٣].
- **الراجفة:** {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾} [النازعات: ٦ - ٧].
- **الزجرة:** {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾} [النازعات: ١٣].

والمشهور أن النافخ هو إسرافيل[2].

واختلف العلماء في عدد النفخات على أقوال:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات، وذلك أن الله نصَّ على هذه الثلاثة في كتابه:

نفخة الفزع: قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾} [النمل: ٨٧].

- **نفخة الصعق:** قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ} [الزمر: ٦٨].
- **نفخة البعث:** قال تعالى: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} [الزمر: ٦٨].

وقالوا: إن الفزع مغاير للصعق، واستدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات ثلاثة[3].

---

(١) فتح الباري (١١ / ٣٧٦).

(٢) في الملائكة المقربين ص١٥٦.

(٣) حديث الصور أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص٣٢٥ وهو ضعيف.

القول الثاني: أنهما نفختان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وقال: هذا هو ظاهر النصوص، كقوله تعالى:{مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾} [يس: ٤٩ - ٥٢].

وقوله:{مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ} هذه هي النفخة الأولى، وقوله:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} هذه هي النفخة الثانية، كقوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}[النازعات: ٦، ٧] هما النفختان الأولى والثانية.

ويمكن الجمع بين الفزع والصعق، وجعلهما نفخة واحدة، ولكنها تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، مع وجود مسافة زمنية تفصل بين بدايتها ونهايتها، أي أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ، فينفخ نفخة إفزاع يطوّلها ويمدها لا يفتر (وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع) فيما الناس في العذاب يشاهدون أحداث الزلزلة إلى أن يأمر الله بنفخة الصعق الأشد قوة وهولاً، فيموت لشدتها كلُّ من في السماوات والأرض إلا من شاء الله[1].

وقد ذكر النبي ﷺ صاحب الصور بدون أن يسميه، وأنه التقم الصور بانتظار أن يؤمر في حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟**» قالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال:«**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وعلى الله توكلنا**» [2].

(١) اليوم الآخر للصلابي ص ٨٨.
(٢) سنن الترمذي رقم ٢٥٤٨، السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٧).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«**ما طرف[1] صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريّان**» [2].

١٠ – قيامهم برعاية أهل الجنة ونعيمهم:

وكل الله سبحانه وتعالى بالجنة ملائكة يعمرونها ويغرسونها ويعملون أنهارها ويعدون لأهلها ما أمرهم الله به وهؤلاء هم خزنتها والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه[3]، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هؤلاء الخزنة في كتابه فقال سبحانه:{ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾} [الزمر: ٧٣].

فهم يتلقون المؤمنين بالتحية الأولى التي حيوا بها أباهم آدم عليه السلام وهي السلام، وهؤلاء الخزنة يدخلون على المؤمنين الجنة ويسلمون عليهم كما قال تعالى:{جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وأول من يفتح له الخزنة باب الجنة نبينا محمد ﷺ كما جاء في الأحاديث الصحيحة منها حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك**» [4].

---

(١) الطرف: إطباق الجفن على الجفن.

(٢) الفتح (١١/ ٣٦٨)، السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٥).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٨٧.

(٤) مسلم (١/ ١٨٨ - ٩٧) ك الإيمان.

قال ابن كثير: وتدخل الملائكة عليهم من هاهنا ومن هاهنا بالتهنئة بدخول الجنة فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصادقين والأنبياء والرسل الكرام(١).

١١- خزنة النار:

قال تعالى:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾} [المدثر: ٢٦ - ٣٠].

فهؤلاء التسعة عشر هم خزنة جهنم العظام ومعهم من الملائكة خلق لا يحصيهم إلا الله ولذلك عقب بقوله:{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١].

وأعظم هؤلاء الخزنة مالك عليه السلام، وقد تقدم، وقد وصف الله عز وجل هؤلاء الملائكة بصفات عظيمة تملأ النفوس خوفاً ومهابة، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾} [التحريم: ٦](٢).

أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة، شداد أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج(٣).

كما أن خزنة النار تتلقى الكافرين وتبشرهم بالنار وتلومهم على عدم طاعة الله ورسوله، كما قال تعالى:{وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٠).
(٢) في الملائكة المقربين ص ١٥١.
(٣) المصدر نفسه ص ١٥١، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩١).

عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾} [الزمر: ٧١، ٧٢].

وقال تعالى:{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾} [الملك: ٨، ٩].

وأهل النار والعياذ بالله ينادون الخزنة أن يشفعوا لهم عند الله لتخفيف ما هم فيه من العذاب، فيجيبونهم بلومهم على ما فرطوا في الحياة، كما قال تعالى:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾} [غافر: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى:{وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾} [الزخرف: ٧٧، ٧٨].

وهؤلاء الملائكة بهم من القوة والعظمة ما يجعلهم يدخلون النار ويخرجون منها ويعذبون أهلها وهم سالمون من هذا العذاب العظيم، بل ثبت أنهم يجرونها يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ :«**يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**» [(١)].

ثانياً: أعمال الملائكة المتعلقة بالكون:

إن أعمال الملائكة ووظائفهم لا تقتصر على تلك الأعمال المتعلقة

(١) في الملائكة المقربين ص ١٥٢.

بالإنسان بل إنهم يقومون بأعمال كثيرة تتصل بالكون وما فيه من أشياء وأحداث، فمنهم من يحمل عرش الرحمن، ومنهم الموكل بسوق السحاب إلى حيث يشاء الله، ومنهم الموكل بالجبال، إلى غير ذلك من الأعمال التي يقومون بها تنفيذاً لأقدار الله تعالى في الخلق، يقول ابن القيم: فكل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض، كما قال تعالى:{فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾} [النازعات: ٥]، وقال: {فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾} [الذاريات: ٤]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم(١).

ولا يعني هذا أن للملائكة فعلاً مستقلاً عن الله تعالى، بل إن الفعل فعل الله والخلق خلقه، وليست الملائكة شركاء لله في فعله، وما يقومون به إنما هو بعلم الله تعالى، وإرادته عز وجل وقدرته، فالقرآن يخبرنا بأن الملائكة يتوفون الناس، ولكن الله عز وجل منه الإحياء والإماتة والفعل كله، ووفقاً لهذا فينبغي أن نعلم ونؤمن: أن الملائكة لا تملك للإنسان نفعاً ولا ضرًّا، ومن ثم لا يجوز للإنسان أن يطلب منها ذلك أو يدعوها لجلب نفع أو دفع ضر، بل الدعاء والتوجه والطلب لا يكون إلا لله وحده وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن الملائكة لا شفاعة لها إلا بإذن الله ورضاه. إذ أن الخلق كله والفعل كله والأمر كله لله وحده، قال تعالى:{وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾} [النجم: ٢٦].

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ص ١٢٥.

وقد يثار السؤال لماذا عهد الله إلى الملائكة بهذه المهمات الجسيمة المتعددة مع أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟ للإجابة على ذلك يمكن القول: بأن ذلك ليس إلا مظهراً لسلطان الله وعظيم ملكه، وإظهار لقدرته المعنوية في مظهر حسي يتلاءم مع تصور الإنسان والمألوف في حياته[1].

ومعلوم بالبداية أن الله عز وجل وهو الذي خلق هؤلاء الملائكة وأولاهم هذه الطاقة، غير محتاج إلى وساطتهم وسببيتهم في شيء ولكن شاء الله عز وجل أن يظهر سلطانه وقوته لعباده بالشكل الذي ألفوه في حياتهم، وتعودته أخيلتهم وأفكارهم[2]، كما يظهر هذا الخلق من خلال الأسباب التي ربط الله بينها وبين المسببات.

وقد يقال أيضاً: أليس في الإيمان بهذا الدور الذي تقوم به الملائكة منافاة لما يقوله العلم الحديث من وجود قوانين ونواميس كونية تضبط هذا الوجود؟ وللإجابة على ذلك يمكن القول: بأن هذه القوانين والأسباب هي من مخلوقات الله تعالى، والملائكة موكلة بها أيضاً وموكلة برعايتها كما ترى المخلوقات الأخرى[3].

ومن أعمال الملائكة في الكون:

١- حملة العرش:

قال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ

(١) كبرى اليقينيات للبوطي ص ٢٧٨.
(٢) المرجع نفسه ص ٢٩٢.
(٣) الإيمان محمد نعيم ياسين ص ٤٦.

تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾} [غافر: ٧].

وقال تعالى:{وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾} [الحاقة: ١٧].

ودلت الآيات الكريمة: على أن الملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه وآخرون يكونون حوله وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية، إما ثمانية أملاك وإما ثمانية أصناف وصفوف[١].

٢- الموكلون بالسحاب والقطر:

قال تعالى:{وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾} [الصافات: ١ - ٣].

ورد في تفسير هذه الآيات الكريمات أن هذه الصفات من صفات الملائكة عليهم السلام وأن الله أقسم بالملائكة الصافات بين يديه سبحانه وتعالى وبالملائكة التي تزجر السحاب وتسوقه إلى حيث أمرها الله وبالملائكة التي تنزل بالقرآن والكتب من عند الله سبحانه[٢].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال:«**ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله**»، فقالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال:«**زجره السحاب إذا زجره حيث ينتهي إلى حيث أمر**». قالوا: صدقت الحديث[٣].

وهذا الحديث إنما يفيد أن للسحاب ملائكة يسوقونه وأن هذا الصوت

(١) في الملائكة المقربين ص ١٤٤.
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢).
(٣) سنن الترمذي (٤/ ٢٥٧) رقم ٥١٢١، السلسلة للألباني رقم ١٨٧٢.

الذي يسمع قد يكون صوت هذه الملائكة وقد يكون اصطكاك السحاب، ولا يدل والله أعلم على تسمية الملك الموكل بالسحاب باسم الرعد وقد صح أن الملك الموكل بالقطر هو ميكائيل عليه السلام ومعه أعوان يعملون ما يأمرهم به[١].

قال ابن كثير: ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل وعلا [٢]، وحديث ميكائيل وأنه موكل بالسحاب أقوى من حديث ابن عباس في تسمية الموكل بالسحاب رعداً [٣]، فقد احتج ابن كثير على إثبات عمل ميكائيل عليه السلام بحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه: أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام: «**على أي شيء ميكائيل؟**»، فقال: «**على النبات والقطر**»[٤]، فميكائيل عليه السلام هو الموكل بذلك والله أعلم ومعه أعوان من الملائكة ينفذون أمره[٥].

ومن أعجب ما يروى في ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة[٦] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع**

(١) في الملائكة المقربين ص ٥٤.
(٢) البداية والنهاية (١/ ٤١).
(٣) في الملائكة المقربين ص ٥٤.
(٤) رواه ابن أبي شيبة ك العرش رقم ٧٥ إسناده صحيح بشواهد.
(٥) مسلم (٤/ ٢٢٨٨) رقم ٢٩٨٤.
(٦) في الملائكة المقربين ص ١٥٤، ١٥٥.

في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه» [(١)].

وفي هذا الحديث إثبات الملائكة الموكلين بالسحاب، وأنهم يسوقونه ويأمرونه ويكلمونه وربما كان الكلام الذي سمعه الرجل كلام الملائكة بعضهم لبعض، ثم ساقه الملك الموكل بهذه السحابة وفيه فضل الصدقة على المساكين والمحتاجين حيث عوض الله المتصدق وأرسل ملائكته يسوقون السحاب ليسقي أرضه جزاءً على صدقته وإحسانه إلى الفقير وإلى أهل بيته[(٢)].

٣ – ملك الجبال:

تقدم الحديث في صفات الملائكة أن الله سبحانه وتعالى أرسل ملك الجبال ليطبق على أهل مكة الأخشبين إذا أمره النبي ﷺ بذلك[(٣)]، وفي هذا دليل على أن للجبال ملائكة موكلون بها، وفيه كذلك دليل على ضخامة خلق هؤلاء الملائكة الموكلين بالجبال، فكون ملك واحد يستطيع أن يطبق جبلين على أهل مكة يعني: أنه من الضخامة والقوة بحيث أصبح إطباق الجبلين عنده أمر هين ينفذه فور موافقة النبي ﷺ على ذلك، ومن فضل الله على هذه الأمة أن بعث لها نبينا ﷺ وهو الرحمة المهداة[(٤)]، وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى:{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

(١) المصدر نفسه ص١٥٤.
(٢) المصدر نفسه ص١٥٤، ١٥٥.
(٣) البخاري رقم ٣٠٥٩، مسلم رقم ١٧٩٥.
(٤) في الملائكة المقربين ص١٥٥.

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾} [التوبة: ١٢٨].

٤ - الملائكة الحافة بمكة والمدينة:

عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال:«ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق» (١). وفي حديث تميم الداري - رضي الله عنه - وهو حديث الجساسة المشهورة، قال:«إنني أنا المسيح وأنا أوشك أن يأذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة - أو احدًا - منها استقبلني ملك بيده السيف صلتًا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها» (٢).

٥- الملائكة الموكلة بالشام:

الشام بلاد مباركة كما قال تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾} [الإسراء: ١].

فإلى مسجدها الأقصى أسرى بالنبي ﷺ فاجتمع بالأنبياء عليهم السلام وأمهم، ومنه عرج مع جبريل إلى السماء، وقصة الإسراء والمعراج معروفة والقصد التنبيه على فضل المكان، ومما يدل على فضلها أن مسجدها أحد المساجد الثلاثة التي تشد لها الرحال، كما في حديث أبي

(١) البخاري رقم ١٧٨٢.
(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢٦١) رقم ٢٩٤٢.

سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**» [1].

ومما يدل على فضل الشام أن الملائكة باسطة أجنحتها عليه كما جاء ذلك في حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه[2].

ثالثاً: قيامهم بأعمال أخرى وبعض الفوائد:

قد لخص ابن القيم أهم أعمال الملائكة فقال: فإنهم موكلون بتخليقه " أي الإنسان " ونقله من طور إلى طور، وتطويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله، وأجله وسعادته، وشقاوته، وملازمته في جميع أحواله وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلآت النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته، ومعلموه وناصحوه، والدّاعون إليه، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين

(١) مسلم (٢/ ٩٧٦) رقم ٨٢٧.
(٢) السلسلة الصحيحة (٢/ ٥) أطال الألباني البحث فيه وخلص لتصحيحه.

يُذكرونه إذا نسي ويُنشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل عنده بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر[1].

ومن وظائف الملائكة القيام بأعمال أخرى يأمرهم الله بها، ورد ذكرها في القرآن الكريم دون بيان تفصيلي عنها:

كقوله تعالى:{وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣} [الصافات: ١ - ٣].

وقال تعالى:{وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤} [الذاريات: ١ - ٤].

وقال تعالى:{وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥} [المرسلات: ١ - ٥][2].

ومن الأعمال الأخرى:

١- إهلاك الأمم المكذبة:

ومن المهام المنوطة بالملائكة، إنزالهم للعذاب الشديد، وإهلاك الأمم المكذبة للرسل بأمر الله تعالى، وقد ورد في قوله تعالى:{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٣} [يونس: ١٣].

- وقوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٥ - ١٢٦).
(٢) على قول أنها من الملائكة.

وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾} [يونس: ٧٣].

- وقال تعالى:{وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾} [يونس: ٩٠].

روى ابن جرير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:«**لما قال فرعون: لا إله إلا الله جعل جبريل يحشو في فيه الطين والتراب**»، وفي رواية أخرى قال:«**لما أغرق الله فرعون، قال جبريل يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة**» (١).

وفي إهلاك قوم لوط يقول جل ذكره:{وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود: ٧٧ - ٨٣] (٢).

٢- تبليغ النبي ﷺ بسلام أمته:

- قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) سنن الترمذي رقم ٣١٠٦ حديث حسن غريب صحيح وهذا الحديث بطريقة رواته ثقات ليس فيهم من هو سيئ الحفظ.

(٢) أصول الاعتقاد في سورة يونس، قذلة القحطاني ص ١٩٩.

صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾} [الأحزاب: ٥٦].

- وقال ﷺ :«من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً» [١]، وقد حذر ﷺ من ترك الصلاة عليه فقال:«إن البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليَّ» [٢].

- ومن شرف النبي ﷺ فقد وكّل الله عز وجل بالصلاة عليه ملائكة سياحة يطوفون في الأرض يبلغون النبي ﷺ صلاة أمته عليه كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام» [٣].

- وقال رسول الله ﷺ :«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» [٤].

إن الله عز وجل قد وكل بالصلاة على النبي ﷺ ملائكة يبلغونه أياه في البرزخ، فينبغي على المسلم أن يحرص على الصلاة على النبي ﷺ بالصيغ الشرعية الصحيحة ويعلم أنها معروضة على النبي ﷺ[٥].

٣ – حملهم التابوت لبني إسرائيل:

قال تعالى:{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٤٨].

---

(١) مسلم (١/ ٣٠٦) رقم ٧٠ باب الصلاة على النبي.
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢١١) رقم ٣٦١٤ حسن غريب صحيح.
(٣) صحيح الجامع (٢ / ٢٣٤)، جلاء الإفهام لابن القيم ص٢٤.
(٤) صحيح الجامع (٦ / ١٣٢)، رقم ٧١٠٣.
(٥) الملائكة المقربين ص١٩٩.

يخبر تعالى أنه قد ملك طالوت على بني إسرائيل لكنهم لم يرضوا ملكه كعادتهم في معصية أوامر الله والتكبر عليها بحجة أنه لم يكن من بيت الملك، وليس من أهل الأموال، وقد جعل الله من الآيات على صدق هذا الملك أن يأتيهم التابوت ويقال فيه علم بني إسرائيل جاءت الملائكة تحمله بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون(١)، وكان هذا تطميناً لهم وتثبيتاً كي يعلموا أن طالوت مختار من الله تعالى، فيتابعونه ويطيعونه(٢).

٤ – نزول عيسى عليه السلام بصحبة ملكين:

إن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من آيات الساعة العظمى التي يؤمن بها المسلمون، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

قال تعالى:{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾} [النساء: ١٥٧ - ١٥٩]، فهذه الآيات، كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء، كما في قوله تعالى:{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥] فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان، وذلك عند نزوله، وقبل موته، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٣٠٠ - ٣٠٣).
(٢) عالم الملائكة الأبرار للأشقر ص٦٦.
(٣) أشراط الساعة ليوسف الوابل ص٣٤٩.

وعيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان واضعاً يده على ملكين كريمين كما جاء ذلك في الحديث الطويل الذي رواه النواس بن سمعان، وفيه: «**فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[1]، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين**» [2].

٥ – تظليل الملائكة على الشهيد:

ومنها إظلالهم لجنازة الصحابي الجليل عبد الله بن حرام الأنصاري - رضي الله عنه - قال البخاري رحمه الله: باب ظل الملائكة على الشهيد - وساق بسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: جيء بأبي إلى النبي ﷺ وقد مثل به ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي وسمعت صوت نائحة فقيل: ابنة عمرو - أو أخت عمرو - فقال: «**لم تبك أو لا تبكي، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها**» [3].

٦ – شفاعتهم لأهل الإيمان:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ... فيقول الله عز وجل: «**شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين**» [4].

٧ – نزولهم عند تلاوة القرآن:

ليستمعوا له كما حصل مع الصحابي الجليل أسيد بن حضير - رضي الله عنه[5] -.

---

(١) مهرودتين: ثوبين مصبوغين بورس.
(٢) مسلم على شرح النووي (١٨ / ٦٣).
(٣) البخاري رقم ١٢٤٤.
(٤) مسلم (١ / ١٦٧)، رقم ١٨٣.
(٥) البخاري رقم ٥٠١٨.

٨ – حضورهم مجالس الذكر:

وحفهم الذاكرين الله تعالى، قال ﷺ :«لا يقعدن قوم يذكرون الله عز وجل، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» [(١)].

٩ – شهود الملائكة لجنازة الصالحين:

استشهد سعد بن معاذ الأنصاري في غزوة الخندق بعدما انفجر جرحه ونقله قومه فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا فخرج معه الصحابة، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالهم، وسقطت أرديتهم فشكا إليه أصحابه ذلك، فقال النبي ﷺ :«إني أخاف أن تسبقني الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة»، فانتهى إلى البيت وهو يغسل وأمه تبكي وتقول:

ويـــــل أم ســـــعد ســـــعداً ::: حزامـــــــــة وَجَـــــــــدَا

فقال: كل نائحة تكذب إلا أم سعد، ثم خرج به قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه، قال:«وما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا ولم يهبطوا قطّ قبل يومهم قد حملوه معكم» [(٢)].

وقد جاء في النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما عدد الملائكة الذين شاركوا في تشييع جنازة سعد فقد قال ﷺ :«هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمة ثم أفرج عنه» [(٣)]، يعني: سعداً.

(١) مسلم رقم ٢٧٠٠.
(٢) سيرة ابن هشام (٣ / ٢٦٤)، الألباني في الصحيح رقم ١١٥٨.
(٣) سير أعلام النبلاء (١ / ٩٥)، إسناده صحيح.

١٠ – أسماء الملائكة وحكم التسمي بها:

أخبرنا - تبارك وتعالى - عن بعض أسماء ملائكته في قوله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾} [البقرة: ٩٨]. وعرض ابن القيم لحكم تسمي بني آدم بأسماء الملائكة فقال: يكره تسمية الآدميين بأسماء الملائكة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، قال أشهب: سئل مالك عن التسمي بأسماء الملائكة وهو قول الحارث بن مسكين قال: وكره مالك التسمِّي بجبريل وياسين، وأباح ذلك غيره، قال عبد الرزاق في الجامع عن معمر قال: قلت لحمّاد بن أبي سليمان: كيف تقول في رجل تسمَّى بجبريل وميكائيل؟ فقال: لا بأس به[١].

١١ – عداوة اليهود لبعض الملائكة:

تحدث ابن القيم عن عداوة اليهود لجبريل عليه السلام، فقال: وقالت اليهود للنبي ﷺ : من صاحبك الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر؟ قال:«هو جبريل» قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالنبات والقطر والرحمة؟ فأنزل الله تعالى:{قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾} [البقرة: ٩٧، ٩٨][٢].

* * *

(١) واحة الإيمان عند ابن القيم (٢) للأشقر ص٦٨.
(٢) واحة الإيمان عند ابن القيم (٢) ص٨٢.